إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الوافد -أنموذجا

أ. عمر شادلي

الملخّص:

نتناول ضمن هذه الورقة موضوعا يعدّ من المواضيع الّتي تشغل حيزا هاما من الاهتمام في الراهن النقدي العربي، ويتمثل هذا الموضوع في قضيّة المصطلح النّقدي، وإشكالية ترجمته، عن الثّقافة النّقدية الغربية، باعتباره منجزا من منجزات الحضارة الغربية و المثاقفة حتمية أملتها طبيعة العلاقات بين البشر، فقد لعبت التّرجمة دورا مركزيا في خلق شتى ضروب التّبادل الثقافي بين الأمم ، وضمن هذا السياق فقد انتقلت إلى حقل النّقد الأدبي للمناهج الغربية بكامل عدّتها وأدواتها الإجرائية.

و جاء تبعا لذلك تلقي المصطلح النّقدي الوافد حاملا لمعالم وآثار عملية التّرجمة الّتي خلقت ظاهرة التعدّد في مفهوماته، مّما أدى إلى حالة من الفوضى في فهمه واستخدامه وانعكس ذلك على الخطاب النقدي العربي وأربكه. ومن هذا المنطلق أردنا أن نبين و نكشف من خلال هذا البحث عن أثر التّرجمة في خلق الأزمة المصطلحية في الحقل النّقدي من جهة و مدى ما أفرزته عملية المثاقفة من آثار في هذا الميدان من جهة ثانية.

ومن ثمّ قمت بتحديد بعض المصطلحات ،الّتي يرتكز عليها هذا البحث، ك: تحديد مفاهيم بعض المصطلحات بالتّعريف اللّغوي والاصطلاحي.حيث تناولت فيها ماهية المصطلح كمفهوم لغوي، وكيف ينظر له من النّاحية الاصطلاحية من خلال تعدّد التّعاريف بين العرب والغرب . و كما سعيت في تحديد ماهية التّرجمة من النّاحية اللّغوية والنّاحية الاصطلاحية، وكيف تمّ النظر إليها عند العرب والغرب ؟.

و محور الموضوع يندرج ضمن واقع المصطلح النقدي و الأزمة الّتي يتخبط فيها جراء قصور عملية التّرجمة ،الأمر الّذي أوقع الخطاب النقدي و النّاقد معا في حالة من التّيه و العلماء بسبب-اضطراب المفاهيم و المصطلحات وفوضويتها ، كما حاولنا التّعرض إلى تاريخية التّلقي في حقل النقد الأدبي و اقتصرنا في هذا على العصر الحديث على اعتبار أنّه العصر الّذي شهد حراكا ثقافيا واسعا بين الثقافتين الغربية و العربية ، خاصة قي مجال الثقافة النقدية . فمع الإنفجار النقدي الحديث سارع النّقاد العرب إلى مبايعة النّقد الغربي على الولاء بالأخذ من مناهجه و استلهام روحه و تمثل أطروحاته متناسين طبيعة التّباين الثقافي بين الأمم، و هذا ما أفضى إلى وضع سلبي يعيشه النّقد العربي، وضع أقل ما يقال عنه أنّه صورة من صور التّبعية العمياء للآخر.

مـــقدمة :

بعد البسّملة والصّلاة والسّلام على خير الأنام محمد بن عبد الله ، نحيّيكم بتحيّة الإسلام، الّتي حيّ الله بها أهل الجنّة ، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . والحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون، المفتتح كتابه قائلا :" الحمد لله رب العالمين"الفاتحة/٠٢.و الحمد لله الّذي أعطى للعرب سجيّة الشعر والفصاحة فكانوا أشعر الأمم وأفصحها أمّا بعد:

من باب الشكر والعرفان بالجميل؛ أتقدّم بالشكر الجزيل إلى صاحب السمو : الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتّحدة، رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي حفظه الله ورعاه، على تنظيمه ودعمه، للمجلس الدولي للغة العربية و على قيامه بتنظيم المؤتمر الدولي الرّابع للّغة العربية ، كما أشكر- بدوري - رئيس المجلس الدولي للغة العربية الأستاذ الدكتور: محمد مروان الغزال، وهذا الشّكر نابع من مرجعيتنا الإسلامية ،إذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"من لا يشكر النّاس لا يشكر الله" .

ما تشهده الحالة الرّاهنة من

تطوُّر فكري ومادي، قد بات يفرض نفسه على غيره بقصد أو بدون قصد ، وما نشهده اليوم من تحرُّك دائب لم يُسبق له مثيل ، قد غيّر حالة الإنسان في جميع المجالات. وممّا لا شك فيه ولا مِراء أنّ الشّعوب تتسم بالاختلاف و التعدد في طريقة تفكيرها، وعاداتها، وثقافاتها،وديانتها،ولغاتها الدّالة على هذا، وهذا التعدّد ناتج عن سنة الله الّتي أطردها في خلقه .

وبما أنّ "الإنسان ابن بيئته"،وحامل للسان (لغة) يتكلم بها مع كلّ من يعيش معه في هذه البيئة،والّتي اصطلح عليها علماء الأنثروبولوجيا"بالمجتمع اللّغوي المتجانس".استطاع –أيضا- بفضل هذا اللّسان أن يعبِّر عمّا يختلج في صدره من مشاعر، وعمَّا يسبح ويدور في عقله من أفكار، واستطاع بفضل هذا اللّسان أن يقدِّم منجزاته- في كل الميادين، الفكرية ،والسياسية، والاجتماعية ، و الإقتصادية- للآخر L'autre،لكي يؤثر فيه، والآخر بدوره ككائن بشري استطاع أن يؤثر في الإنسان العربي، ويقدم له كل منجزاته الّتي وصل إليها بلسانه ،وهذا ما دفع الإنسان العربي إلى تعلم لسان الآخر(الغرب)، حتى يصل إلى إدراك محتوى منجزاته الفكرية، وهذا لا يتمّ إلّا من خلال التّرجمةLa traduction .

وكانت اللّغات خير مجسِّد لعملية التّواصل La communication، لذالك نوّه بها الحقُّ سبحانه عزّ وجلّ فقال: ﴿ومن آياته خلق السّموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين﴾الروم/ ٢٢. ولأمرٍ ما جعلها الله من آيات الخلق الدّالة على عظمته، والّتي بفضلها تعارفت الشّعوب والقبائل، وتبادلت المنافع المادية والمعنوية عن طريق جسر التّواصل المتمثِّل في التّرجمة، والّتي ساهمت بشكل فعّال في بناء معالم الاحتكاك الحضاري Le contacte civil،والّتي اعتبرها الدكتور إسماعيل ركيزة أساسية في التحضّر، فقال:" التّرجمة هي خيار حضاري " ١.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في في طرح احدى الاشكاليات الّتي تؤرق حقل الدراسات النّقدية و تتعلق بترجمة المصطلح الغربي الوافد، والّتي أصبحت قضية العصر حيث أسالت حبراً كثيراً من الأقلام، بعدما تطرّقت إلى هذه الإشكالية بالدقَّة والتفصيل وبيّنت أسباب تعدُّد المصطلحات، وأحيانا فوضويتها والّتي أدخلت القارئ في متاهات التّأويل ،وأدخلت عنده نوع من الخوف أو فوبيا المصطلح.

و المصطلح ظلّ وسيبقى العتبة الأولى، الّتي نلج من خلالها إلى العلوم، لندرك فحواها ومضامينها ،ونتعرّف على كُنهها ،ونجني من خلال تعلّمها ثمار البحث،لذلك قال الدكتورعبد السلام لمسدّي:"إنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها ،ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى"٢. ويبقى المصطلح بمثابة المفتاح الّذي يهتدي بها السالك، للولوج الى أي مجال معرفي.

وأهمية بحثنا تتجلى في إظهار إشكالية تعدُّد المصطلحات في الساحات النقدية واللّغوية، أو ما أُصطلح عليه بفوضى المصطلح ،وذكر أسباب هذا التعدُّد، وهل يُعتبر في نظر أهل الاختصاص حالة صحية؟ أم هو حالة مرضية تتخبَّط فيها ساحة الدّراسات النّقدية واللغوية؟

هدف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضّوء على واقع المصطلح النقدي و محاولة الوقوف على الأسباب الّتي أدت إلى الأزمة وأفقدته توازنه. وما يعانيه والنّظر في واقعه و إعطاء حلول تناسب هذا الوضع المضطرب ، وإلى بيان الجدليّه القائمة لمقاربة المصطلح إلى اللّغة العربية ، فأكسبته نوعا من الضبابية لا الإقناع ؛ ومدى تأثير التّرجمة من وإلى اللّغة العربيّة ، والإشارة إلى أهمية المقاربات للتّرجمة النظرية والتطبيقية لتّرجمة المصطلح كوسيط بينها وبين العلوم الأخرى .

عيِّنة البّحث :

تكمن هذه العيّنة في تتّبع ما يدور حول التّرجمة وعلاقتها بالإشكال القائم ، وتنطلق من بيان الدور المعرفي الّذي يربط قضيّة المصطلح بالتّرجمة مع إعطاء بعض الأمثلة .

إشكالية البحث :

يُقال :"إنّ الكلام على الكلام صعب ....فإنّه يدور على نفسه و يلتبس بعضه ببعض " أبو حيان التوحيدي /الإمتاع والمؤانسة/ج٢،ص:١٣١ . هذا الكلام واضح وجليّ يتناسب مع